فما دل عليه مقدم على ما دل عليهما والجملة تحتمل الخبرية والانشائية والله
اعلم الحمد لله لما افتتح المص رحمه الله تعالى كتابه اولا بالبسملة افتتاحا
حقيقيا افتتح ثانيا بالحمدلة افتتاحا اضافيا وهو ما يقدم على الشروع
في المقصود بالذات الى الجمع بين حديثه الوارد به وحديث البسملة اما حديث
البسملة فقد مر واما حديث الحمدلة فهو ما في صحيح مسلم عن ابي هريرة
رضي الله عنه كل امر ذي بال لا يبدا فيه بالحمد لله فهو اقطع وفي رواية
بحمد الله وفي رواية بالحمد فهو اقطع وقدم حديث البسملة ولم يعكس
ذلك لقوة حديث البسملة وبان لفظ الحمد غير متعين بل المطلوب
ايقاع ذكر من الاذكار وقد حصل بالبسملة اذ المقصود من الحمد الثنا على الله
تعالى والبسملة من ابلغه والحمد لغة هو الثنا بالجميل على قصد التفضيل
واصطلاحا هو الثنا بالكلام على المحمود بجميل صفاته سواء كانت من باب
الاحسان او من باب الكمال المختص بالمحمود كعلمه وشجاعته فان قلت
فلما قالوا في الحمد هو مثلا الثنا بالكلام ولم يقولوا باللسان فالجواب
قلت ليشمل الحمد المحامد الاربعة الحمد بين القديمين والحمد بين الحادثين
فالقديمان اولهما حمد نفسه بنفسه كقوله تعالى الحمد لله رب العالمين
والثاني حمد فعله بنفسه كقوله تعالى نعم العبد انه اواب والحادثان
اولاهما حمد فعله بفعله كحمد الحوادث بعضها لبعض والثاني حمد نفسه
بفعله كحمدنا له تعالى فان قلت ما معنى كون حمد العباد لله تعالى مع ان
حمدهم حادث والله تعالى قديم ولا يجوز قيام الحادث بالقديم فالجواب
ان المراد منه تعلق الحمد ولا يلزم من التعلق القيام كتعلق العلم بالمعلوم
فان قلت لم قال الحمد لله بجملة اسمية ولم يقل احمد الله بجملة فعلية
قلت لان الجملة الاسمية شاملة للحمد القديم والحادث واحمد الله خاص
بالحمد الحادث وايضا فالجملة الاسمية دالة على الدوام والاستمرار في
الماضي والمستقبل والحال بخلافها وايضا فقول القائل الحمد لله هو
صدق على كل حال لان خبره مطابق لما في نفس الامر ولو كان مخالفا
لاعتقاده بخلاف احمد الله فان قائله غير خالص فهو نفاق وايضا فالجملة
الاسمية دالة على عظمها حيث جعلت مفتتحا بالقران العظيم فان قلت
لم قدم لفظ الحمد على الاسم الكريم قلت لاقتضاء المقام مزيد اهتمام
به وان كان ذكر الله اهم في نفسه ولذا قدم في مقام اخر كتقديمه على

الملك

الملك لذلك في قوله تعالى له الملك وله الحمد وال في الحمد للاستغراق و
قيل للجنس وقيل للعهد واللام في لله للملك وللاستحقاق وقيل للتعليل
والمعنى على الاول جميع المحامد مملوكة لله او مستحقة له وعلى الثاني وعلى
الثالث جميع المحامد ثابتة لاجل الله والشكر لغة فعل ينبئ بتعظيم المنعم
بسبب كونه منعما واصطلاحا هو الثنا باللسان وبغيره من القلب وسائر
الاركان بسبب ما اسدى الى الشاكر من المنعم فان قلت لم قالوا في الشكر
هو الثنا باللسان ولم يقولوا بالكلام كما قالوا في الحمد قلت لان الله تعالى
يتصف بالحمد ولا يتصف بالشكر لان الشكر في مقابلة الاحسان ولا
محسن لله تعالى بل هو المحسن الى الكل والمنعم الى الجميع وما جاء في القران مما
يقتضي وصفه بالشكر كقوله تعالى وكان الله شاكرا عليما او في السنة
كقوله صلى الله عليه وسلم شكر الله سعيكما فليس على حقيقته بل بضرب
من المجاز فان قلت اي نسبة بين الحمد والشكر قلت نسبة العموم
والخصوص من وجه اذ الحمد عام التعلق خاص المورد والشكر عام المورد
خاص التعلق فان قلت هل الحمد افضل ام الشكر قلت الشكر ولذا حمل
عليه قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وجاء قوله تعالى وان من
شيء الا يسبح بحمده بصيغة العموم وجملة الحمد خبرية لفظا انشائية
معنى لحصول الحمد بالتكلم بها مع الاذعان بمدلولها وجملة الشكر كجملة
الحمد سوا بسوا والاسم الاعظم علم للذات الواجبة الوجود كما مر
قال العلامة التفتازاني ولذا لم يقل الحمد للخالق والرازق او نحوهما
مما يوهم استحقاق اختصاص الحمد بوصف دون وصف انما تعرض
للانعام بعد الدلالة على استحقاق الذات تنبيها على تحقيق الاستحقاق
الحق وهو المشهور انه غير مشتق من شيء اي غير ماخوذ من شيء وما ذاك
الا لان المشتق منه سابق على المشتق واسما الله قديمة فلا يصح ان
يشتق من شيء بل الاشيا هي المشتقة منها وذهب جماعة الى انه مشتق
وقيل من لاه بمعنى احتجب وقيل من لاه بمعنى علا وارتفع وقيل من اله اي
اقام فيكون من اسما التنزيه عن التبديل والتغيير وحكم هذا الحمد الوجوب
مرة في العمر ككلمتي الشهادة والظاهر وجوبهما على الفور لا على التراخي
والله اعلم والصلاة انما يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الثنا
على الله تعالى عملا بقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك اي نقرن ذكرك بذكري

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)